خاتمة

ذكرنا في التمهيد لهذا البحث أننا نهدف إلى قراءة التراث النحوي وتقييمه، ولما كنا ذاتا تاريخية تحكمنا المرحلة التي نوجد فيها وتوجه خطانا التجارب السالفة، انطلقنا من قراءات السابقين لنا للتراث النحوي وحاولنا نقدها وتحديد مواطن النقص فيها حتى نتقدم في مشروع قراءتنا وهو نقد لا يستصغر بأي وجه من الوجوه أصحاب هذه المؤلفات التي عرضناها وإنّما هي ضرورة معرفية لأن تصور العلم الذي اعتمدناه يقتضي أن تقدم العلم لا يكون إلا بنقد مواطن الضعف الداخلية فيه الملتبسة بمنظومته والمتنكرة بقناع البديهيات الواضحة بذاتها.

وقد بينا انطلاقا من تبويب أهم مقاربات المحدثين للتراث أهم العراقيل التي منعت بشكل أو بآخر من قراءة التراث النحو قراءة صريحة (Explicite). وقد سمينا هذه العراقيل على اختلافها باسم عام يعينها رغم ما بينها من اختلافات جزئية هو "التجريبية". ونذكر من جديد أننا نقصد بكلمة التجريبية معناها التهجيني وهو مساو لعدم التأسيس للممارسة العلمية ورفض التنظير الذي يضع المسلمات موضع بحث وتساؤل. وأهمّ مظاهرها: 1 - عدم الوعي بمحددات النظرية العلمية بصفة عامّة وهو ما سميناه المستوى الإبيستمولوجي.

2 - عدم الوعي بمحددات النظرية اللغوية بصفة خاصة.

وقد بيّنا بالنسبة إلى المقاربات التي لم تصدر عن انتساب واضح إلى علم اللسانيات الأسباب التاريخية الموضوعية التي حكمت على أعمالهم بالتجريبية وقلنا إن بعضها يعود إلى أسباب عربية داخلية وبعضها يجد تفسيره في تطور علم اللسانيات ذاته. وذلك يعني أن التجريبية قد تكون في بعض الأحيان قدرا تاريخيا محتوما يتجاوز إرادة الأفراد.